العلوم المعرفية:
نحو مقاربة معرفية للنص الروائي

جميلة كبور
المغرب

الملخص:

تحدد هذه المقاربة تمفصلات بحث خاص تشغل فيه العلوم المعرفية كمرجعية نظرية وبمنهج مفاهيمي نحو أفق أجرأتها في مقاربة مركبة للعمل الأدبي الروائي المعاصر.

فالإطار النظري والمنهجي والمفاهيمي كل لحظاته المتميزة تشكلت في حقل العلوم المعرفية بمرجعيات (تخصصات) تنتهي إلى التكامل المعرفي وتفاعل العلوم المعرفية ضمن المؤلفات الروائية.

1. علوم دقيقة أو حقة (نموذج البيولوجيا وأهمية الأنشطة الدماغية للإنسان في تشكيل الصورة العقلية، الإدراك وأثر الاختلالات العضوية في الفهم والإدراك.

2. علوم إنسانية بين المعطى-الواقع، النفسي والاجتماعي إلى البنيات الخفية التي يكشفها التحليل النفسي وفاعيلة العلاقات في الأفعال الاجتماعية بين القصد والأثر المعاكس مع حضور الثقافة كهوية وظواهر وطقوس ورموز من المطبخ إلى اللباس.

3. علوم اللغة واللسانيات ودلالة العلامات كتأصيل للمقاربة الأدبية للعلوم المعرفية حيث يتم الوقوف على السرد والشعرية واللغة كنسق اجتماعي وبنية بتمفصلاتها تكشف عن فعاليتها عبر لغات تستحضر ها الرواية المغربية.

4. هذه المستويات ليست إلا لحظات تتغيّ أن تستوفي مقاربة مركبة للعمل الروائي المغربي الحديث بانفتاح يتأصل بخصوصية الحكي والسرد... وفي لغاته الداخلية ولغاته الخارجية مع تصور جمالي ومخيالي إبداعي.

الكلمات المفاتيح: العلوم المعرفية، السرديات، البنيات، الذاكرة، التاريخ

Abstract:

This approach identifies special research hinges in which cognitive science is used as a theoretical reference and conceptual approach to a horizon that has compounded contemporary literary work. The theoretical, methodological and conceptual framework of all its distinct moments was formed in the field of cognitive sciences with reference (disciplines) that culminate in cognitive integration and the interaction of cognitive sciences within fiction literature.

1. Accurate or true science (biology model and the importance of human brain activities in shaping the mental image, perception and the impact of organic imbalances in understanding and perception.

2. Humanities between the given-reality, psychosocial to the hidden structures revealed by psychoanalysis and the effectiveness of relationships in social actions between intent and adverse effect with the presence of culture as identity, phenomena, rituals and symbols from kitchen to dress.

3. The science of language, linguistics and sign as a root of the literary approach to cognitive sciences. The narrative, poetry and language are identified as a social and constructive format with its details that reveals their effectiveness through languages that evoke the Moroccan narrative.

4. These levels are only moments that tend to meet a complex approach to modern Moroccan fiction work with an openness that is inherent in the specificity of the narrative... and in its internal and external languages with a creative aesthetic and imaginative perception.

Keywords: Cognitive sciences, narratives, structures, memory, history

المقدمة

عرفت العلوم الإنسانية تطورا ملحوظا أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الحالي تحت مسمى العلوم المعرفية التي وسم ظهورها بنوع من التداخل المعرفي للتخصصات Interdisciplinarité كنسق علمي جديد، وكشبكة مترابطة من التخصصات تعمل على "دراسة آليات المعرفة الحيوانية، الإنسانية والاصطناعية؛ وتشير المعرفة إلى مجموعة واسعة من الكفاءات والمؤهلات والسيرورات الذهنية المتمايزة مثل التعلم، الذاكرة، التذكر، والتخيل، والإدراك، والتأمل، والانفعالات، والعواطف[1] (Mistreanu 2019/09/27)

تقوم هذه المقاربة المعرفية على فهم طبيعة الفكر الإنساني في علاقته بالمحيط الذي يسكنه والآليات التي يفعلها الفرد في فعله وفهمه وتفاعله مع هذا المحيط، وتتمثل هذه الآليات والسيرورات فيما يمتلكه الإنسان من حواس وأعضاء، وأشكال التعبير الحركية الرمزية، كالصوت، واللغة، ووسائل تمكنه من استيعاب العالم الخارجي والتحكم فيه وتدبيره، ويعبر بها عن علاقاته الاجتماعية.

وتعد اللغة خاصية إنسانية بالغة التعقيد وذات أهمية في تكوين التصورات والتمثلات الذهنية وعن اشتغال عملية الفهم التي تعد نشاطا جوهريا في أساسها، وعن المعرفة كيف تتكون لتصبح هذه المعرفة سلطة على الموضوعات والأشياء.

تهدف هذه المقاربة إلى الوقوف على الموضوع الأدبي مع تحليل السرد الوصفي الواقعي، والتخييلي في العمل الأدبي، كمقاربة سردية جديدة تهدف إلى ضبط الأبعاد المعرفية وطرق بناء الدلالات في النص السردي، مع إبراز البعد المعرفي لهذا الوصف الواقعي والتخييل الافتراضي لتكون بؤرة التركيز على أهم المرجعيات المعرفية في بعدها الوظيفي، وعلى الترسانة المفاهيمية في بعدها الإجرائي، ضمن توظيف نظري عملي لهذه العلوم المعرفية في تفسير وفهم الإبداع السردي بإجلاء تمفصلات وتضاريس المتن الأدبي ضمن اعتبار هذا الإبداع منتجا لمعارف تستحضرها هذه السرديات كما يستدعيها المؤلف الروائي الذي يعمل على تبليغها تحصيلا وتوصيلا وتأصيلا للقارئ المتلقي أو لمن يراد تبليغها إليه، كمرسل إليه سديمي.

من خلال مرجعية نظرية تصهر ما هو معرفي بالآداب أو ماهو علمي معرفي تتم مقاربة أعمال روائية مغربية تنتصر لأشكال سردية متميزة لتبيان مدى فعالية هذه العلوم والمعارف وأجرأة مفاهيمها عبر الإنتاج الإبداعي المرتبط محايثة وتعاليا للمحيط الطبيعي والسيكولوجي ...والتاريخي الاجتماعي الذي ينتج فيه أو ضده هذا الإبداع، فكيف تتحقق هذه المقاربة المعرفية عبر أفعال القراءات التي تطفح بمختلف السرديات بتعدد رؤى ولغات وقيم جمالية.

I. تعريفات ومرجعيات نظرية معرفية:

1. العلوم المعرفية

تمثل العلوم المعرفية حقول وتخصصات معرفية مختلفة، معقدة، ومتكاملة، ترتبط بالإنسان وإن كانت امتدادا لعلوم حقة دقيقة، وأخرى إنسانية أدبية، سواء كان الانسان معطى؛ بيولوجيا، وسيكولوجيا، واجتماعيا، واقتصاديا، **أو** بنيات خفية متصلة و/أو منفصلة تقترن بأنشطته المادية واللغوية والرمزية، لذلك كانت العلوم المعرفية نقلة نوعية في العلوم الحقة وعلوم الإنسان وكذا الفلسفة، والمنطق واللغة والأدب...

وظهرت هذه العلوم المعرفية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال العقد السادس من القرن الماضي، غايتها تضافر مختلف التخصصات المعرفية: الفلسفة واللسانيات (فلسفة الذهن، فلسفة اللغة، والمنطق)، علم الخلايا العصبية وأمراض الجهاز العصبي، لدراسة وتحليل وبناء الصور الذهنية للدماغ البشري... وكذا علوم الإنسان بما تعنيه من علم النفس المعرفي، والأنتروبولوجيا المعرفية، وعلوم الحيوان، واستثمارها مقارنة. والسوسيولوجيا المعرفية، والتاريخ...وعلم الحاسوب (الذكاء الاصطناعي والذكاء العاطفي، الذكاء الاجتماعي) ...

وضمن هذا التداخل المعرفي للتخصصات يتم تشغيل مفاهيم عبر استدعائها كترحال أو نجعة لمفاهيم تخترق مجالاتها الحيوية الأولى، وكل ذلك نحو بناء قراءات لأفق مفتوح.

اهتم هذا "العلم المعرفي cognitive science بدراسة المعرفة مع تخصصات متعددة متكاملة لموضوعات ظاهرة وواقعية، وأخرى يتم بناؤها كحالات، وأعراض، وعمليات نفسية، وذهنية كالتفكير/الوعي، والتذكر/النسيان، واللغة المتمفصلة، واللغات الإشارية وأشكال الإدراك الحسي و"القراءة، والوعي، والانفعالات العاطفية[2]"(غاليم،محمد، شتنبر2004). مع الوقوف على أنشطة الدماغ وكيف تساهم قشرة هذا الدماغ في تذكر الموضوعات والأشياء الذهنية"[3] (Changeux و Pierre، 1983)

وكانت القاعدة العلمية الابستمولوجيا لكل ما سبق هي العلوم الحقة/ الدقيقة،(مع مجموع المعارف والأبحاث المتعلقة بالجهاز العصبي neuroscience، ومبحث الأعصاب neurologie وفيزيولوجيا الجهاز العصبيneurophysiologie مع دوائر ولحظات علمية تمتد إلى المنطق واللغة عبر علم النفس المعرفي ثم استدعاء علم الحاسوب computer أو حوسبة كل فعاليات الكائنات الحية والظواهر الطبيعية للأرض والسماء بكل الاحتمالات المستفزة والكارثية، أو التي ترسم الخلاص الوجودي مع الذكاء الاصطناعي JPT، والذكاء العاطفي... ولهذا تم الوقوف على الإنسان الخلية العصبية[4] "l' homme neuronal (changeux, 1983)وعلى المخ/ الدماغ من أجل التغيير لفهم "البرمجة العصبية اللغوية"[5] (Bandler & richard) ورسم حدود الدماغ ولغاته ولغات الجسد ولهجات الإنسان ولغات المختصة للجماعات المهنية والسلوكية، وأشكال التعبير بمنطق بدائي حيواني.

وبهذا تمت دراسة آليات التعبير والتفكير ونسق الإشارات كانت حيوانية أو آدمية، وبذلك تحققت معلومات عن طبيعة الأفعال البدائية والبشرية وضمنها العمليات التحليلية وأنساق الإشارات التي يفترض أن تبلغ المعنى في "مجال الفعل اللغوي والأدبي". (غاليم،محمد، شتنبر2004)

إن البحث عن تصورات المعنى يؤدي إلى معرفة العلاقة القائمة بين الإدراك العصبي الحسي والصورة الذهنية العقلية للدماغ.

وعليه فإن "بناء المعنى من وجهة نظر معرفية رهين بتفاعل الأنساق الذهنية...وارتباط هذا التفاعل بعمليات أساسية مثل الاستحضار، والتعرف، والانتباه وبمختلف مستويات الذاكرة وأنواعها "[6](غاليم،محمد، شتنبر2004) كذاكرة دماغية وذاكرة غير دماغية في حد هي أصل الثقافة[7] (changeux, l'homme de Vérité , 2002-2008, p. 55)، ذاكرة الجسد والعواطف، الزمان والمكان، والتاريخ... "وعندئذ تذكر الرجل الغاضب في الحمام، ولم يتذكره صديقا يقاسمه الحياة منذ عقود، بل مجرد شخص نكرة"[8] (الأشعري، 2019، صفحة 22). وبهذا فالأنا الآخر الغريب اللاشعوري الذي يسكن الأنا/ الذات يحضر في قرارت الأنا بدون استئذان يشاكسها ويعاكسهاوينبث في طريقها. وتقرر هذه الأنا بأنويتها الفصامية وبشكل مباغث أن تقتله استيهاما، فيهب الأنا من رقدته(اللاوعيه) فيتبلور له وعي ذاتي صقيل وكأنه عثر أخيرا على معنى مقنع للحياة.

فالإدراك العصبي الحسي من العمليات المعرفية الأولى التي تمكن الإنسان من تمثل الأنا كأنا: جسد وإحساس، ووعي بالذات. وتمثل الأنا كغير/كآخر ضمن واقع طبيعي، اجتماعي، ويكون الفعل المادي، والذهني، والفكري واسطة تفاعل يغيّر من الذات كأنا والأنا كآخر كموضوع مهما كانت طبيعة هذا الفعل، عن طريق اعتماد واختيار أشكال السلوك والأفعال، وردود الأفعال في تقاطع معها، أو تقبلها والانصياع معها، والتوافق معها تحت مستلزمات الضرورة، أو بحكم الإرادة أو الاختيار الحر أو البنى الخفية اللاشعورية المحركة لها بأعراض عضوية وحركات تفلت من المراقبة.

فإذا كانت الصورة الذهنية أساس العلاقة بين الشيء والموضوع والدماغ الإنساني، فإن هذه "الصورة الذهنية هي أساس المعنى فالوعي نسق الانتظامات في الأداء الوظيفي"[9] (Changeux و Pierre، 1983).

قاعدة هذه المرجعية النظرية بأساسها الإستمولوجي وبجهازها المفاهيمي تكون مقاربة العمل الإبداعي الروائي وحدة معرفية لتعدد اختصاصات مركبة بين الفلسفي و المعرفي الابستمولوجي وأثر وصدى إيديولوجي.

وهذا ما اقتضى في السرديات الروائية تجددا وتجريبا لمناهج الدراسات السردية مع انفتاح على العلوم الإنسانية، واستدعاء للعلوم المعرفية. "بضبط أصداء فلسفية وحضورها في ثنايا ولفائف تمفصلات السرد الروائي كمفارقات وتناقضات وتناص لأن روح الرواية هي روح التعقيد، فكل رواية تقول للقارئ الأشياء أشد تعقيدا مما تتصور إنه الحقيقة الأبدية للرواية"[10] (kundira, 1986, p. 30) .

فإذا تمّ الحرص على هوية وخصائص كل منهج، فإنه لم يفتها تبئير الدراسات باستحضار "مناهج" بفاعليات اكتشاف جديدة وغير معهودة.

وبهذا دفعت تلك المناهج الى اختبار مفاهيم العلوم المعرفية، وتمّ بناء الظاهرة الإبداعية بناءا جديدا. عبر مستوى نظرية الأدب والنقد الأدبي بحكم المقاربات الجديدة كمقاربات علوم معرفيه تؤسس الدرس التحليلي والنقدي بآفاق قراءة استكشافية غير مسبوقة.

فأضحت العلوم المعرفية تكشف قارات قراءة جديدة نقدا وتحليلا، ففتحت أفقا رحبا للمناهج الأدبية، برؤية جديدة لمفهوم الأدب والأدبية وإثراء الجهاز المفاهيمي بمفاهيم تتم أجرأتها مما يثري المسار الفكري الذائقة الجمالية في العمل الإبداعي الروائي وغيره.

وبهذا فقد سعت السرديات المعرفية إلى تعميق فهمنا للأدب أو النص السردي، فهي لا تطمح إلى تقديم أدوات جديدة لتحليل آلية القراءة فحسب، بل تقدم أيضًا مناهج جديدة لتحليل الخيال.

السرديات ما بعد الكلاسيكية "كبراديغم جديد" يمكن اعتبارها أيضا امتدادا للسرديات الكلاسيكية، فإذا كانت هذه الأخيرة تهتم بالسرد فقط أي ضمن المجال لأدبي، فإنها الآن أصبحت منفتحة على مختلف المجالات المعرفية، من خلال بلورة المفاهيم ورؤى

جديدة تمثلت في الاهتمام بمختلف المعارف، "فتوسعت دائرة الانشغال بالعلاقات بين الفنون اللغوية والبصرية، وإلى جانب ذلك الاستفادة من العلوم الإنسانية، وخاصة ما اتصل منها بالأنثروبولوجيا وعلم النفس التحليلي. علاوة على كونها، بسبب تلك الانشغالات والشروط التي تشكل فيها وعيها العلمي، تسعى إلى اعتماد "المنهجية المتعددة المقاربات والمتداخلة الاختصاصات"[11] (سعيد،يقطين، 2012، صفحة 65) أي الانفتاح على آفاق جديدة للدراسات السردية ذات أبعاد متعددة، من حيث المنهج والموضوع، ثم التركيز على النصوص السردية في تفاعلها مع النص والقارئ، وعلاقته بالمحيط البيئي والاجتماعي والثقافي والذي ينتمي إليه.

ترتكز السرديات المعرفية على دراسة كيفية تأثير النصوص القصصية والروائية على تشكيل أو بلورة الاعتقادات والمعارف وتطويرها لدى الأفراد، إذ تعمل على دراسة وفهم كيفية عمل وتنظيم المعلومات والمعارف في شكل قصص وروايات والتي تمثل جزء من الثقافة الإنسانية.

وتعتبر الروايات وسيلة فعالة في نقل وتبادل المعارف المختلفة بين الثقافات المتنوعة والتي تؤثر في الطريقة التي نفهم بها العالم، وتتشكل على أساسها اعتقاداتنا ومواقفنا.

فقد حظيت باهتمام كبير من مختلف مجالات العلوم الإنسانية (علم النفس، علم الاجتماع، علم التاريخ...وعلوم الأدب، اللسانيات، علم الجمال، علم الدلالة)، ... مع إبراز مدى تأثير القصص على تشكيل الهويات الاجتماعية وتطور الاعتقادات والقيم الثقافية، وتأثيرها في المعرفة العلمية وفي السلوك الفردي والجماعي للإنسان ثم تعزيز التعاون والتفاهم بين الثقافات ومدى التفاعل مع العالم الخارجي، ثم فهمنا للعقل البشري في تقهقره أو في نقلاته الحضارية والقيمية والحرب والسلم.

إن السرديات المعرفية بمثابة دراسة لبعض مظاهر ممارسة السرد؛ أي كل ما تشمله من علاقة بين السرد والفكر ليس فقط النصوص المكتوبة بل حتى ضمن التفاعلات المباشرة، والحكي الشفهي السينما، الأخبار الإذاعية، الفضاءات الافتراضية، وبواسطة الحواسيب، وغيرها من وسائط سردية"[12] (HERMAN, 2009, p. 30) فالسرد نشاط ذهني يمكن تحققه عبر وسائط متعددة تنطلق مما هو شفهي إلى ما هو كتابي وماهو حركي إيقاعي وماهو أشكال ولون، لتخلق بذلك تواصلا سرديا ومعرفيا فعالا مع المتلقي، لتنتج عنه معرفة سردية قابلة للفهم والإدراك وقابلة في الآن ذاته للدراسة والتحليل تفسيرا وفهما.

كما تركز السرديات على أهم العناصر الأساس في مقاربتها للنص السردي والتي تتقاطع مع مجموعة من المفاهيم منها السيناريو(المشهد)، الإطار، العواطف، الخطاطة.

فالسيناريو" يسمح بتخزين تسلسل متوقع للأحداث في الذاكرة، غير الدماغية لشرح كيفية تمكن الناس من تكوين تفسيرات معقدة للقصص على أساس عدد قليل جدًا من الإشارات النصية أو الخطابية، "الخطاطات".

أما "الإطارات" فتشير إلى الأشياء والديكورات (التأثيث الجمالي) المحتمل أن توجد في فصل دراسي أحادي بدلا من زنزانة السجن.

تشير النصوص إلى توقعات حول ما يمكن أن نتوقع حدوثه أثناء طلب جعة في حانة، بدلا من الدفاع عن أطروحة الدكتوراه" .(HERMAN, 2009, pp. 30-31)[13]

II. المقاربة المعرفية بين المعطى–الواقع الظاهر والخفي– البنية.

إذا كان يتعذر الحديث عن فشل التجارب الأدبية في تطوير أدواتها الإجرائية في مقاربة المتن الأدبي الروائي...فإن الحديث عن قصورها وانغلاقها وأحيانا عقمها، أمر لا مراء فيه. وهو الوضع الذي يستدعي العلوم المعرفية لاختبار المفاهيم الإجرائية وتطويرها واعتماد مناهج تحليلية جديدة

أمام تجديد صيغ الإبداع: في الكلمة والإيقاع، والحركة واللون والشكل نثرا، وشعرا في السرد/ الحكي والخيال، والافتراض والنقد ونقد النقد، كالتفكير في المفكر فيه، أو كشف اللامفكر فيه في الصمت الصاخب أو الصمت المعتم.

الاستيهامات، والتوهمات المرضية، فمع (لحظة الإفاقة الملتبسة أو قبلها بقليل ببضع ثوان، بدا له أن يسبق سبق يقظته فيأخذ منعرجا، يمضي به إلى مشهد يعرفه منذ سنوات، حيث لا يخلو منام له من عودته كاملا أو معدلا او محرفا، مشهد تتحول فيه مضاجعة شهوانية إلى قتال دام أو حادثة سير مروعة، لكن هذا المنعرج ضاع منه لحظة فتح عينيه في ظلام الغرفة، حتى وقد بقي في حلقه طعم المشهد الذي هرب منه"[14] (الأشعري، 2019، الصفحات 21-22) والتداعيات والبياضات والأعراض الفصامية والوصف الشبقي، منذ ليلة، ليلة مع هيلين قاده فيها الحب إلى عتبات متقلبة بين المعاناة والمتعة والخوف واللذة ومن الوداعة إلى الشراسة والحياة إلى الموت (مع هزة الرعشة حصل الفقدان الآليم، واستقر بشكله الأكثر رهافة في حلم تفيض فيه الشهوة والروح في مصرع واحد"[15] (الأشعري، 2019، صفحة 22)، والتكرار القهري، والقهري الوسواسي في لغات النفاق الاجتماعي، والهويات الأنوية العنيفة، والمتقاتلة.

2. انشطار القيم الدينية وتدنيسها الدنيوي.

هكذا تنسدل أقنعة النفاق. فمتى تتمزق؟ لو كان العم هنا لقال نفس الشيء في مثل هذا المجلس، لينفرد بقاسم فيما بعد ويهمس له: أنت رجل وتفهم. وليؤكد لنفسه بأن زوجة أخيه، ارتكبت إثما بعد وفاة زوجها بسنوات، وليقول قبل ذلك لزوجة أخيه المرحوم، بعد أن قامت بعدة مناورات لإفهامه تواريخ الازديادات والوفيات: انت فاضلة حلت البركة على المرحوم بمجيئك. لو كان ألف رجل من قرية العم، لقالوا نفس الشيء... ولا يدركون آلام نفوس بشرية بما يفعلون ويقولون"[16] (ربيع، 1980، صفحة 173).

مع منطق التحليل النفسي يعد الوعي واللاوعي كفعالية وديناميةتقوم على الجسد ويكون الجسد على صلة وثيقة بهذا أو ذاك، إن الحياة تقترن بالجسد الحي وهو كجسد يتكلم اللغة كما أن اللغة تترجم جسديا، عضويا ونفسيا إننا لا نتكلم اللغة بقدر ما تكلمنا، إننا نسكن اللغة وتسكننا، ليصبح الصمت صخبا لغويا، فكل إصابة أو واقعة تقترن بالجسد تغيّر الوعي وتعرضه للخراب والمعاناة وبهذا تقترن الاختلالات بالتفكير /الوعي باختلالات في الوظائف الجسمية والحسية والحركية واللغوية. ويظل المركز العصبي هو شبكة الاستقبال واستدعاء الأثار أو الأعراض والبدائل والتسامي أو العته بانعكاس وتعاكس وارتدادات الوعي الباطني.

- وتجرع كأسه طالبا المزيد. وعول على أن يحصر انتباهه فيما حوله، مادامت راسه لا تكف وخواطره لا تتوقف. سخافات هذه الوجوه، أخف وطأة. المرآة المواجهة ترفض دائما أن تعكس صورته، وخلفه شخص سكران يمارس زرع النقود في جوف الفليبر...كل من يدخل هذه القبعة توأم للآخر. ماذا بقي إذن؟ من أين ترتفع الضجة؟ كل شخص يتحدث بهمس إلى نفسه أو جار، فكيف تتجمع الأصوات وترتفع الضجة؟ لم لا يكون مجموعها صوتا واحدا أشد خفوتا، ويكون مجموع السالب موجبا، وبأي قانون؟ أه يعود الرأس من جديد إلى السؤال والجواب"[17]. (ربيع، 1980، صفحة 144).

فالفلسفي يقتحم العلمي والأدبي والفني، كما أن العلمي تحركه إشكالات فلسفية وتعطلات إبستمولوجيا ليس في هذا العلم أو ذاك، وإنما تدفعه ضرورات المجتمع العلمي والمجتمع الإنساني نحو ثورة بنياته العلمية والفلسفية والأيديولوجية ليكون لهذا أو ذاك قوي الأصداء على الصياغات الأدبية والشعرية والمعمارية والفنية وهي الأصداء التي لها رجع الصدى المركب في سرديات العمل الروائي.

✓ صدى النص الروائي وضبط وحداته الصوتية فلسفيا في وحدة الطبيعة والفكر مع الحكيم الفيلسوف والعقل الكوني وثورة التحرر.

- "(ترى هل ذلك صحيح أم هي فقط وحدة الطبيعة ووحدة التفكير...أم أن المعرفة تذكر كما قال بعضهم؟ لا يدري على التحقيق. لكن صورة الحكيم الذي استشف السر ورفع له الغطاء، ولم يعد منفعلا لضراء أو سراء كانت تسكن أعماقه. هذا الهدوء، هذا الصفاء، هو بالضبط ما يتردد في نفسه منذ وقت لا يستطيع تحديده، فالتوافق بين هذا الصوت المطمئن الهادي وبين ما يعتلج في نفسه لا ينسب الى الصدفة وحدها...هذا الهدوء والصفاء هو ما يبدو أن الكون بأجمعه يبحث عنه وينشده ويود ان يهتدي اليه... بل اهتدى اليه في فترة الحكيم الرواقي فكيف تجاوزه؟ حقا ان الانسان للغز محير. وإلى أين يسير الإنسان؟ انها لمعضلة حقا"[18]. (ربيع، 1980).

- احتفظ مسعود من حياته الثورية لما بعد ماي(آيار)1968 بأشياء اتضح له، مع مرور الزمن، ومع اتساع دائرة التنكر لها في جيله، أنها أفضل ما أنجبه تطور الإنسانية. أولا رفضه للزواج كمؤسسة للاستبعاد النفسي والجسدي وإعادة إنتاج علاقات العنف والاستغلال، وكساحة لقتل الحب. وثانيا رفضه المطلق للملكية كفخ رأسمالي لاعتقال الإنسان في قفص، يفقد فيه كل قدرة على التحليق، ويصبح فيه أسير ذعر أبدي من الفقدان والخسارة والتشرد"[19]. (الأشعري، 2019، صفحة 23).

يعد السرد بتجلياته المختلفة وأنواعه نشاطا إنسانيا مبنيا على أنشطة ذهنية وقدرات عقلية ومعرفية تسمح بمعالجة المعطيات وكشف البنيات من توليد ونقل، واستخدام المعارف والحفاظ عليها، وتوظيفها وتذكرها... وهذه القدرات هي التي تتجسد في أنواع الإدراك وضروب الذاكرة وتعدد اللغات وثراء التمثلات واتساع الدلالات وكل ذلك يعتمل في دينامية السردية الروائية ولها تأثير قوي في البناء السردي والفكر الإنساني.

فصار الاهتمام بالسرد له دور في تشكيل الذكاء الإنساني، والتأثير على الذهن وعلى الجسد والأحاسيس والسلوك والنتائج المحققة في العقل.

وما للعمليات السردية الإبداعية من أبعاد جسدية عضوية ونفسية، وفكرية، وثقافية أيديولوجية وفنية تربط بين الكينونة والفعل، والوعي، واللاوعي، والقصد المقدس، والغاية الدنيوية المدنسة في الأنشطة المادية والرمزية، وفي الألبسة، والأطعمة، والمعمار الحضري والقروي، والأعياد والأفراح، والمآتم والمقابر، والتقاليد، والأساطير، وآداب الطعام وقواعد النظافة، وعند الشخص الروائي والشخوص الروائية الواقعية، والافتراضية في معمار الرواية.

✓ الراقد الماضي هل هو للدفن و/أو للحرق واللعنة

- "انت مخطئ في حسابك يا بني، نحن النساء أدرى بهذه الأمور. تواريخ المواليد لا تنسى لنا أبدا... إن الصدمة التي اصابتني بوفاة المرحوم والدك أرقدت الجنين في بطني، مدة لا أعلم كم طالت، وهي الفارق بينك وبين إبراهيم... سلوكها شاهد على مقدار قلقها، من أجل اثبات ماضيها بالصورة التي تريد، ليتها تكف عن هذه المحاولات السخيفة"[20] (ربيع، 1980، صفحة 29).

إن مفهوم الراقد (النائم) فردي واجتماعي، ديني ودنيوي وثقافي وايديولوجي، إنه الماضي الذي يحكم الحاضرويرهن المستقبل خاصة في كيان/ الدولة. التي يحظى فيها الأموات/القبور بكامل القداسة والحضور

✓ حضور الضمير الغائب مع التأنيب والمعاناة

- "إن لم يكن شعوره بذنبه هو، فذنب الآخرين نحوه، فمثل مأساة المسيح في قريته. ووالدتي تحمل شعورا مركبا بالذنب، بذنبها وذنب الآخرين في حقها، وان يفارقها ذلك. انها هيكل مصلوب متحرك. كم تحاول أن تكفر عن لحظة، اقتنعت بأنها آثمة، أثمرت في بطنها، ومن ثم خلطها المضني المتعمد في تواريخ الإزديادات والوفيات"[21] (ربيع، 1980، صفحة 63). الخفي الماضي/ الراقد يحيل على مريم العذراء كبنية لاشعورية للمقدس.

فالمؤلف الروائي قد يكون مناضلا ملتزما، لواقعية و/أو طوباوية مع منطق النضال السياسي على الطريقة السهلة كمناضل منطفئ "(كان الرجل(مسعود) يذهب للمظاهرات بدون رهاب، ويرجع منها بدون خدوش حتى اتهم بالعمالة... مسعود الذي لم يذهب للسجن ولم يصبح من قادة اليسار، ولا صعد إلى قطار المشاركة..)"[22]، (الأشعري، 2019، الصفحات 23-24)، إذن عرف مسعود حياتا ثورية بدون ثورة وهذا توجه متمركس نسبة لماركس وإيحاء لمشهد فرجوي اسباني. " لم يعرف عن مسعود أي انغمار في خصومات أو نزاعات شائكة، وقليلا ما اهتم بالرد على ملاحظة تخصه، أو على شتيمة تجرحه" كان يهتم بالأشياء أكثر مما يهتم بالأشخاص بتعبير كاتبه المفضل سيلين، وحتى عندما كان مشاركا فاترا في الحياة العامة إبان مرحلته الطلابية، / فإنه لم يكن مصارعا ثوريا يلفت الانتباه باندفاعاته وتضحياته الباهرة. كان يفعل ما يفعله ببرودة تامة، كنوع من واجبات المرحلة، وباقتناع كامل بأن هذا " الأمر كله" سينتهي ذات يوم بالانتصار الوحيد الذي يتوقعه، والذي لا تسمح الحياة بغيره، وهو انتصار التكرار، الذي يجعل الناس يعشقون تغييرا واحدا، هو البدء من الصفر، وربما لهذا السبب لم يهتم أي تيار سياسي باستقطابه. وعندما رآه رفاق النضال، يذهب بهدوء غريب إلى المظاهرات، ويعود منها بهدوء أشد غرابة، أشاعوا عنه أنه عميل للمخابرات، حتى إن المخابرات نفسها شكت في الأمر، فربطت به الاتصال في محاولة للانتقال من الاشاعة إلى المعقول"[23] (الأشعري، 2019، الصفحات 10-11).

كما يعرف إحباطات وخيبات فردية خاصة، وجماعية حزبية، وقد يتربع في برجه العاجي، ضمن مؤسسة إدارية، وثقافية، يجعل الرواية عمله الثقافي، واليد الحريرية الخفية التي تقدم جرعات الفكر النقدي، (الأدبي، السياسي،) لا تزعج النظام ولا توقظ شعبا أو طبقة من تخديرها وسباتها الدائم وأو الموسمي.

2- البنية الخفية أو الدولة العميقة للنظام المخزني المغربي وتدبيره للعباد والبلاد

- "انس شخص المنظمة الدولية (منظمة التغذية والزراعة)، أنت هنا في معقل المغرب العميق، مغرب الدولة العميقة. مغرب أباطرة الحوامض والبواكر وتجار الحبوب، والمناطق السقوية، والرعاة الرحل، والبور الوحشي، و"الفلاح المغربي في خدمة العرش". لا تدبر الأمور هنا بالعقل الخالص، انس المربع النظيف، هنا كل شيء يجري وفق منطق الدوائر المتداخلة. حسب المزاج، وحسب ما لا يظهر من جبل الجليد"[24] (الأشعري، 2019، صفحة 20).

3- التصنيع ومصادرة أراضي القرويين بالبادية المغربية في عهد الاستعمار الفرنسي ومع المخزن والاستقلال.

- "إن المخزن يريد أن ينشئ معملا على النهر، ويحتاج ذلك إلى أ راضي لبناء بيوت وحدائق وأشياء كثيرة لفرنسا...عرفنا ان نتيجة ذلك أن يفقد رجال القرية أكثر أراضيهم...فكانوا يغمسون لكل واحد اصبعه في المداد، يحطونها على الورق، ويقولون لكل واحد منهم: ستقبض الثمن غدا"[25] (ربيع، 1980، صفحة 26).

4- نهم الرأسمال الوطني المتوحش في الحواضر الكولونيالية

- "جل ملكيات العمارات الكولونيالية حسمت بركام من الأكاذيب والرسوم المزورة وعقود البيع الوهمية والالتباسات... عدا ما حصل على يد أباطرة هذه التركة، الذين استخرجوا من المحافظة العقارية أرقام الملكيات، وانتدبوا محققين جابوا البلاد الفرنسية برمتها بحثا عن الملاك القدامى الذين غادروا على عجل بلادا كفرت بهم، وعندما كانوا يعثرون عليهم او على ورثتهم كانوا يعقدون صفقات سريعة بأبخس الأثمان، ليغذوا بها تجارة العمارات المنبوذة، ثم تترك البنايات للنسيان من أوهامها حتى تبرد الصفقة"[26] (الأشعري، 2019، صفحة 17).

فالنص الأدبي الروائي معمار لغوي بين برودة النسيان، ودفء الكلام تتوسل أقنعة اللغة، ومضمون الثقافة العامية والعالمة على حد سواء. لأنه يمتح من الواقع الواقعي، والافتراضي، فيكون محملا بعدة أوجه لغوية، وصفية، وتشبيهية وكناية، واستعارة، واشتقاق الدلالات. يقصدها المؤلف الروائي خلال الكتابة أو يطوعها، أو تفلت منه لأنها تنساب بين أصابعه في الكتابة التقليدية، أو نقر مفتاح حاسوبه فتمتزج بالأحاسيس النابضة من كيانه، وأخرى يحرص عليها حرصا

بالاصطناع، بحكم الحدث والوقائع أو طبيعة شخوصه في علاقتها البينية، أو البين-ذاتية، والموضوعات الخارجية النفسية، والاجتماعية، والسياسية، والفنية، لترابطات الواقع الواقعي، والواقع المتخيل بين الحقيقة والكذب.

فإذا كان طلب الحقيقة أعز ما يطلب فإن التدليس والكذب لا يمكن استبعاده لأنه ينضح خارج الحكم الأخلاقي ويدخل الحكم الجمالي.

5- الهويات الإثنية المتناحرة أو المتقاتلة بين الواقع والمتخيل.

- "حتى الفرسيوي الذي أبدى في مستهل علاقته مع ديوتيما نوعا من الصفاء الإنساني كاد يكون رومانسيا، سرعان ما تعكر صفاؤه وهو يجري وراء الصفقات والمشاريع، ويدبر المكائد للشرفاء وحلفائهم، معلقا على ذلك كلما رأى في عيني زوجته إشفاقا من هذا الغل المربى منذ أزمنة سحيقة. -لا داعي للقلق إننا نتبادل كراهية ضرورية لصحتنا النفسية والبدنية، إذا وجدت ريفيا لا يكره الشرفاء فذلك دليل قاطع على أنه ابن حرام أبا عن جد، والعكس صحيح، ومع ذلك فليس بيننا قتلى ولا جرحي ولا معطوبو حرب"[27]. (الأشعري ، القوس والفراشة، 2011، الصفحات 71-72). الوحدة الوطنية والهوية القومية واقع مقدس ترابا ورمزا وهي وحدة متعددة تعددها أساس ثرائها ومع هذا لا يمكن طمس بؤرا رمادية انتهت إلى انزلاقات عنف حينا وعنف دموي حينا آخر في الجهات الأربع للمغرب. فأقنعة الأيديولوجيا لم تستطع أن تخفي انشطارات الواقع وهزات التاريخ...؟

في معمار النص الروائي الذي يبدعه المؤلف الروائي بعد الفراغ منه، فإنه يتعالق مع متن أو متون روائية أخرى له و/أو لغيره، صريحة، أو ضمنية، أو مغيبة. مثلا حضور سيلين بتعبير كاتبه المفضل (الأشعري، العين القديمة، 2019، صفحة 10) وسراماغوا (الأشعري ، القوس والفراشة، 2011) وحضور ستندال (ربيع ، 2021).

إن "الأدب يفكر كما نفكر في أغلب الأحيان، ولكن بتركيز وعناية وقوة غير عادية"[28] (جبار، 2023، صفحة 8) انطلاقا من هذه المقولة المعرفية، أضحى من الضروري تغيير نظرتنا الكلاسيكية للأدب عموما والسرد خصوصا وتفكيرنا نحوه، وفتح مسارات جديدة للتفكير فيه وفي علاقته بالجوانب الفكرية والثقافية والاجتماعية وغيرها.

إن تشغيل المفاهيم المعرفية للعلوم المعرفية في هذا الحقل الإبداعي الروائي، يبلور نظرية السرد بأنواع السرود للوقوف على مختلف العمليات والصور الذهنية التي يستدعيها المتن الروائي كالتخييل السردي والحكي الوصفي الواقعي، والمتخيل الافتراضي، واستحضار

أشكال الذاكرة بوظائفها، بثرائها أو اختلالاتها تذكيرا وتذكرا ومحوا وتناسيا واختلالات حتى النسيان هو لغة صامتة تضج بهذا الصمت وبهذا السكوت أو تنفجر بأعراض جسدية ونفسية وتطفح بتجليات العنف المادي والرمزي.

- "لقد كان مسعود حتى الآن شخصا آخر، وها هو شخص غريب يقتحم حياته كما كان المشرد يقتحم أبهاء فندق لنكولن، ولكن الفرق يقول مسعود لنفسه محتدا، إنني لست (خرابة)، لست بناية سرقت أحشاؤها وحضرت على مهل للإنهيار، هذا (السكواتاج) لا معنى له"[29]، (الأشعري، 2019، صفحة 18)
- "لقد سرقته الهجرة من نفسه، فكأنما استبدل بنفسه شخصا آخر. تذوق نكهة ماي (آيار)1968 فأدمنها، صارت دينه ولعته ومرارته اللذيذة"[30] (الأشعري، 2019، صفحة 19)
- "وعندما عاد بعد أزيد من ثلاثين سنة، وجد نفسه كما تركها في نهاية الستينيات بأوجاعها وأثقالها التي لم يخمن أبدا أنها ستظل بدون إذنه على قيد الحياة"[31] (الأشعري، 2019، الصفحات 18-19).
- "كانت رغبة مسعود في القتل، كما ألحت عليه في جوف الليل، شبيهة برغبة جنسية حادة، ليس اشتهاء لامرأة محددة، وليس استجابة لغرام جياش، بل فقط ثوبا وحشيا" (الأشعري، 2019، الصفحات 20-21)، وكل ما يطفح مع أنشطته المادية والرمزية لتصبح الظاهرة الأدبية الإبداعية (مثال الرواية) موضوع التفسير، والفهم، وكشف مؤشرات سيميائية، تتجاوز اللغوي نحو العلمي والمعرفي، كتمثلات ومؤشرات وأعراض قابلة للتحليل كمعطى وبنيات خفية، بدوافع أولية بدائية تواصل حضورها عند الإنسان ونشاطاته المادية والرمزية، في القرية والمدينة، وفي الإنتاج الاقتصادي وسياسة المدينة ومؤسسات الدولة، وهي أكثر بروزا في العمل الذهني وتحققاته الأدبية والفنية.
- "أما غضب مسعود، فكان مناسبا تماما لفلسفته في السهولة، أحنى رأسه وأثنى على راي الوزير.. وفي يوم فتح الأظرفة جاء خفيف إلى الاجتماع بعد إتلاف كامل لملف الشخصية المرموقة. تلا هذا الأمر الخطير صخب وعنف، صعود وهبوط، مجالس تأديبية، ومقالات وعرائض وتضامن وحساب وعقاب... ومع ذلك لم يحدث لمسعود أن رغب قليلا أو كثيرا في قتل أحد"[32] (الأشعري، 2019، الصفحات 12-13)
- "تصب صفية الشاي لهما معا، متابعة همهمة اللاملكية، وهي تعلق عن الحلو والناقص حلاوة أو بدون ...بجواب عن أيام الحلاوة وأين هي منها، متنهدة في شبه نفس مكتوم عن تلك الأيام الزاهية، ومن يجدها اليوم أو يستعيد لحظة واحدة منها، وقد خانها الزمان"[33] (ربيع، غرب المتوسط، 2018، صفحة 31).

تعمل الذاكرة على استرجاع أو إعادة انتاج الماضي فتتسع عوالم التخييل وتمتد عبر مسار الوقائع والأحداث، فيعاد إنتاج معرفة جديدة تفعل العلاقة بين الماضي والحاضر، وتسمح للقارئ بولوج عوالم الإدراك بأبعاده المعرفية المتعددة.

تعد النصوص السردية سجل المجتمع البشري كونها تطرح قضايا شائكة بطريقة فنية لتعالج الإشكاليات النفسية، والاجتماعية والفكرية...

6- في فلسفة الحب والانتصار له

- " منذ شبابه الأول ظل مسعود مؤمنا بأن الحب هو نوع من " الربيع الإنساني" براعم وأزهار ويناعة وتلاقح هستيري، ثم يأتي اليباس الأكيد... لماذا نقبل في سيناريو الربيع الطبيعي مقدم الصيف والخريف، ولا نقبل ذلك في السيناريو الإنساني..... ركاما من الأشياء القبيحة"[34] (الأشعري العين القديمة ص 26.)

7- في الشبقية أو الايروسية الباطولوجيا

- "الإنسان في ذروة هيجانه يذهب بلسانه وحميمياته إلى مخابئ البكتريا، يلحسها ويمصها ويقتحم لزوجتها وهولها الهرموني، قبل ان ينهار هو نفسه ركاما من الأشياء القبيحة"[35]. (الأشعري، العين القديمة، 2019، صفحة 26) إننا أمام خرق العادة (الطبيعية) نحو البحث عن لذة تخرق حدود المقدس.

وبما أن الرواية أصبحت في عصرنا الحاضر الجنس الأدبي الأكثر انتشارا وتعبيرا وتصويرا وقراءة، فإن دراسة الشخصيات الروائية وعلاقتها بالبناء السردي هي الوسيلة الوحيدة للوقوف أو التعرف على أهم الموضوعات الإنسانية. كموضوعات تاريخية إن الرواية وثيقة من التاريخ. ما وضعية الملكيات العمارات الكولونيالة في المدن المغربية؟

- "جل ملكيات العمارات الكولونيالية حسمت بركام من الأكاذيب والرسوم المزورة وعقود البيع الوهمية والالتباسات... عدا ما حصل على يد أباطرة هذه التركة، الذين استخرجوا من المحافظة العقارية أرقام الملكيات، وانتدبوا محققين جابوا البلاد الفرنسية برمتها بحثا عن الملاك القدامى الذين غادروا على عجل بلادا كفرت بهم، وعندما كانوا يعثرون عليهم او على ورثتهم كانوا يعقدون صفقات سريعة بأبخس الأثمان، ليغذوا بها تجارة العمارات المنبوذة، ثم تترك البنايات للنسيان من أوهامها حتى تبرد الصفقة"[36](الأشعري، 2019، صفحة 17). لكن أين المخزن لتحقيق الإنصاف؟ كيف يمكن ترك شفرة الوثائق؟ "أسماء مبتورة وعناوين.. وأسماء فرنسية، إن الانسان المغربي حريص على كنز مؤكد"[37] (الأشعري، 2019).

III. حضور الفلسفة ونُتف منها أو البقايا البئيسة منها

كل عمل روائي وإبداع فني يستحضر أصداء أو رجع صدى الحضور الفلسفي في لحظات تأمل أو معاناة للمؤلف الروائي تلقى تكوينا فلسفيا، أو علقت منها بعض الفتات من تخصصات أخرى على التخوم أو بتغذيته الراجعة فتطفح المقولات الفلسفية وشذرات الفلسفة... في كلماته السردية واشكال الرواية عنده، وهو إما على مسافة من شخوصه أو هو يتماهى معها. ويقتفي سيرهم وينخرط في مختلف حيواتهم بنزوع متمركز أو على مسافة موضوعية.

إن الرواية هي الحديقة الخلفية التي تهجع فيها الإشكالات الفلسفية وتنكشف عبرها تلك المقتطفات المختارة بعبارات مسكوكة التي تناقلتها الإنسانية كإرث معرفي إنساني، أو تناصتها من مرجعياتها لحكماء فلاسفة توارو بين زبد الأيام وتلاطم بأمواج القرون.

- (ترى هل ذلك صحيح أم هي فقط وحدة الطبيعة ووحدة التفكير...أم أن المعرفة تذكر كما قال بعضهم؟ لا يدري على التحقيق. لكن صورة الحكيم الذي استشف السر ورفع له الغطاء، ولم يعد منفعلا لضراء أو سراء كانت تسكن أعماقه. هذا الهدوء، هذا الصفاء، هو بالضبط ما يتردد في نفسه منذ وقت لا يستطيع تحديده، فالتوافق بين هذا الصوت المطمئن الهادي وبين ما يعتلج في نفسه لا ينسب الى الصدفة وحدها...هذا الهدوء والصفاء هو ما يبدو أن الكون بأجمعه يبحث عنه وينشده ويود ان يهتدي اليه... بل اهتدى اليه في فترة الحكيم الرواقي فكيف تجاوزه؟ حقا ان الانسان للغز محير. وإلى أين يسير الإنسان؟ انها لمعضلة حقا. (ربيع، 1980).

نتف الفلسفة وبقايا شذراتها المأثورة عن سقراط: المعرفة تذكر والجهل نسيان ويستند وجود الشر على الجهل.

كما أن المسألة الوجودية بين الحياة والموت، والحب والكراهية، والفجور والمتعة، والطهارة والقذارة، والتعفف والشبق، والعوز والتملك، مفارقات متقابلة فيها يتأكل المنطق الحياتي للإنسان. هذا الإنسان المجهول المنصهر في الكيان البشري.

✓ أسئلة وجودية بوعي ذاتي بين الصحة والمرض.

- "سؤال مسعود المؤرق: أنا وجود بطيء في حياة الناس، وما هو الوجود السريع؟ وماذا يصيب الآخرين من وجود البطيء؟ ما معنى أن يستشيط إنسان ما غضبا، لأن إنسانا آخر يغيظه بوجوده البطيء....ماهو الوجود البطيء"[38] (الأشعري، العين القديمة، 2019، صفحة 8)

كل سؤال يقتضي جواب فمع أن الفلسفة أسئلة تساؤلية فمن الأجوبة تصبح موضوع أسئلة جديدة، بحكم الطبيعة الإشكالية للفلسفة في مباحثها ومفاهيمها:

في تحديد مفهومي الوجود السريع والوجود البطئ: فكر أن الوجود السريع هو التهام الحياة بنهم دون التوقف عن القضم منها في أثناء المضغ وفي اثناء البلع وقلبهما وقبل اكتمال القضم نفسه"[39] (الأشعري، العين القديمة، 2019، صفحة 9) ، مع هذا الوعي الأنطولوجي عند مسعود يحرص على تقييمه الذاتي كانعكاس الوعي على ذاته.

إن الانسان أمام مفارقة الحياة والموت، أسطورة البدايات والنهايات، التي يبرزها وتلك التي يحدد مواقعها في كل الآفاق في الوجود والفلسفة والتاريخ إن الوضع التاريخي ليس خلفية أو ديكورا أمامه تقع مواقف الإنسانية، بل هو في ذاته موقفا إنسانية وجودية تم تكبيرها"[40] (kundira, 1986, p. 53) والإنسان وهي نهايات بدايات منها ينطلق الإنسان يافعا متجددا، منهزما ومنكسرا ومتحديا منتصرا إنه كالفينق يخرج من آماد احتراقه.

يبرز مناضلا متقدا، أو مناضلا على طريقة المناضل الثوري، بغلالة ماركسية مع المناضل العضوي، والمناضل الطبقي، العابر بين الموائد والأطباق لقوى ونظام قائم كسلطة تيوقراطية والأوطوقراطية والديمقراطية أو مجرد مناضل عجائبي دونكيشوطي. وآخر جعل نقع الحروب الصحفية نزواته الكبرى بنياشين وانتصارات وهمية حزبية، في المغرب والعالم العربي، مغامرات حياته.

ولهذا وفق اعتقاد "مسعود ظل متشبثا بالسهولة: لا تنازل ولا تفاوض ولا تردد، يكتفي بلا شيء عوض التعب بالحصول على شيء، يفضل أن تأتي الأشياء إليه يصادفها في الطريق، لذلك لم يطبخ شيئا أبدا وفق ما تسمح به الثلاجة، إنه محكوم بالوجود بالواقع وفي الحياة لم يبدل جهدا للاحتفاظ بعلاقة أو مصلحة او مكسبا، كلما رأى شيئا يفلت منه تركه ويعرض عنه لتحصل له السكينة المبتغاة"[41] (الأشعري، العين القديمة، 2019، صفحة 12)

إذن يحضر تصنيف غير فلسفي للفلسفات حيث تتعالق السقراطية والهيدونية والعبثية والوجودية والماركسية، بين المثالية والمادية، كما يتعالق الفجور الشبقي والمتعة المدنسة الدنيوية، نحو علمانية دهرانية غربية كاسحة، ترفع الالتزام بين العقيدة الدينية والأيديولوجية المناضلة والأيديولوجية الجهادية والأيديولوجية الهيدونية الاستهلاكية.

IV. نحو التأصيل الروائي المغربي مع الأشعري ومبارك ربيع

تستحضر الأعمال الروائية لمحمد لأشعري ومبارك ربيع حضور الجغرافيا الوطنية ومدنها الإمبراطورية، وكذا المدن الحضرية الكبرى، وبذلك مهما كانت موضوعات هذه الروايات فإنها موضوعات تقطع قطعا من الواقع المغربي حتى وإن ركبت التخييل والعوالم الممكنة فتمفصلات هذه الأعمال الروائية مشدودة بين الأمس المخزني الاستعماري والحاضر الوطني، فصورة المجتمع الذي تقدمه بين المعطى الظاهر كواقع وأحداث من التاريخ والمجتمع تكشف فيه عن الحاضر المنشطر والمتفكك، أمام مستقبل مرهون للاحتمالات.

لهذا شكلت الأعمال الروائية هاته للروائيين أو غيرهما. صفحات وثائقية، وإن كانت تمتح من ثورة التجارب الشخصية فالروائي يجعل عمله الروائي لا يعلن موته، إنه دائم الحضور بتمفصلات سردياته لأنه يترجم وجوده في الوجود وينصت لهذا الوجود بحيواته المختلفة.

تبدع الرواية المغربية حتى وإن لم تستقر بعد على أي ضرب يمكن اعتباره خاصا او متميزا وفريدا في بابه، مع رواية حديثة تظل تجاربها متطورة تجربة أدبية ثمنها قصير ومجال انتشارها متقلص وقدرتها كنصوص أدبية على اغراء القراء غير محسومة"[42] (الشاوي، 2024)

الخاتمة:

✓ الهدف من هذه المقاربة هي فهم الأعمال الأدبية المغربية ومقاربتها مقاربة معرفية، فالمؤلف دائما ما يعالج عن طريق اللغة قضية من القضايا والتي يحاول أن يتقاسمها مع المتلقي وبالتالي فالعمل الادبي يتجاوز فكرة انغلاقه وانحصاره على المستوى اللغوي بل يتعدى ذلك الى معرفة العالم.

✓ استجلاء مختلف العوالم الممكنة أو العوالم التخييلية أي العوالم الذهنية التي تتضمنها النصوص التخييلية، والتي يتصورها المبدع أثناء الكتابة وتجعله يبحر في آفاق خيالية متنوعة بالانتقال من عالم إلى آخر، يسرد مجموعة من التجارب الذاتية والموضوعية والتي يمكن أن تتحقق في العوالم أخرى.

✓ تقديم تصور منفتح من خلال المزاوجة بين ماهو نصي ومعرفي ذهني في إطار تصور تفعيلي بين الفكر والمحيط البيئي الاجتماعي في مشهد تفاعلي يسمح بتأويل النص/ التخييل فكريا ومنحه بعدا دلاليا خاصا.

✓ تحليل النصوص السردية التخييلية الواقعي، كمقاربة سردية جديدة لضبط الأبعاد المعرفية وطرق بناء الدلالات، واستجلاء البعد المعرفي في تفسير وفهم الإبداع السردي بإجلاء تفصلات وتضاريس المتن الأدبي ضمن اعتبار هذا الإبداع منتجا لمعارف تستحضرها هذه السرديات كما يستدعيها المؤلف الروائي الذي يعمل على تبليغها تحصيلا وتوصيلا وتأصيلا للقارئ المتلقي.

الهوامش:

[1] - (Mistreanu , Andre Makine; la cognition humaine,pour une transbiographie, 2019/09/27)

[2] - (غاليم،محمد، شتنبر2004)

[3] - (Changeux & Pierre, 1983)

[4] - (changeux, l'homme neuronal, 1983)

[5] -(Bandler & richard, 1990)

[6] - (غاليم،محمد، شتنبر2004)

[7] -(changeux, l'homme de Vérité, 2002-2008)

[8] - (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[9] -(changeux, l'homme neuronal, 1983)

[10] - (kundira, 1986)

[11] - (سعيد،يقطين، 2012)

[12] -(HERMAN, 2009)

[13] - (HERMAN, 2009)

[14] – (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[15] – (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[16] – (ربيع م.، 1980)

[17] – (ربيع م.، 1980)

[18]– (ربيع م.، غرب المتوسط، 2018)

[19]– (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[20] – (ربيع م.، 1980)

[21] – (ربيع م.، 1980)

[22] - (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[23] – (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[24] – (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[25] – (ربيع م.، 1980)

[26] – (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[27] – (الأشعري ، القوس والفراشة، 2011)

[28]– (جبار، 2023)

[29]– (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[30] – (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[31] – (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[32]– (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[33] – (ربيع م.، غرب المتوسط، 2018)

[34] – (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[35] – (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[36]– (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[37]– (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[38]– (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[39] – (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[40]– (kundira, 1986)

[41]– (الأشعري، العين القديمة، 2019)

[42]– (الشاوي، 2024)